البيـــــان

في

بناء وتعظيـم البيت الحرام

من عهد إبراهيم عليه السلام إلى يومنا هذا

تأليف

أبي آيات عرفان بن عفيف اليافعي العتاري

تقديم

فضيلة الشيخ

عبد الهادي بن مهجي العميري الهذلي

المدرس / بمعهد الحرم المكي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بـالله مـن شرور أنفـسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هـادي له وأشـهد أن لا اله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبدالله ورسوله.

أما بعد فإن تعظيم بيت الله الحـرام منـذ خلـق الله الـسموات والأرض كما اخبر بذلك النبي ﷺ حيث قـال : «إن هـذا بـلدٌ حرمـه الله يـوم خلـق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعضد شـوكه ولا يُنفّر صيده ولا يُلتقط لُقَطَته إلا من عَرَّفها ولا يُختلي خلاها، قـال العبـاس: يا رسول الله إلاّ الإذخر فانه لقينهم ولبيوتهم قال إلاّ الإذخر» متفق عليه.

وقد كتب العلماء في هذا الموضوع كثيرًا قديمًا وحديثًا، ومـن أنفـع مـا رأيت كتاب شيخنا المحدث العلامة وصي الله بن محمد عبـاس حفظـه الله ((المسجد الحرام تاريخه وأحكامه)) أشتمل كتابه على علم الدراية والرواية.

ثم رأيت رسـالةً لـلأخ الفاضـل الـشيخ/ عرفـات بـن عفيـف اليـافعي العثاري الموسومة : ((البيان في بناء وتعظيم البيت الحرام)) وهي وإن كانـت صغيرة في حجمها إلا أنها كبيرة في مضمونها، لأنها جمعت ما جمعه العلمـاء بشكل مختصرٍ غير مخل.

فأسأل الله أن ينفع بها الإسلام والمسلمين وأن يعظم الأجر للمؤلف

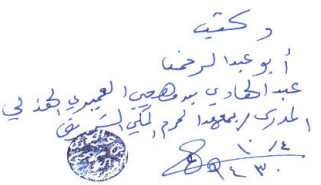

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل البيت مثابةً للناس وأمنًا، نحمده سبحانه و تعالى أمرنا بأن نتخذ من مقام إبراهيم مصلى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أفضل من صلى وصام، ووقف بالمشاعر وطاف بالبيت الحرام.

أما بعد: فهذه رسالة سهلة ومختصرة، لكل من قرأها سميتها: ((البيان في بناء و تعظيم البيت الحرام))، أردت من خلالها بيان بناء وعظمة هذا البيت الحرام، أشرف بقعة على وجه الأرض وأحبها وأكرمها عند الله وعند رسوله ﷺ والمؤمنين، جعل الله ﷻ لها من الحرمة والتعظيم والتقديس والتمجيد ما لم يجعله لمكان غيرها على وجه الأرض، فأولى بالمسلم أن يعظم ما عظمه الله ويكرم شعائره قال تعالى:﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]، جعل الله تعظيمها من خير الأعمال كما قال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[الحج:٣٠].

تعظيمُ حرماتِ الله وإجلالُها وتكريمُها من الأمور المحبوبة المقربة إلى الله سبحانه وتعالى، من عظّمها وأجلّها أثابه الله ثوابًا جزيلًا، وكانت خيرًا له في دينه ودنياه. إنّ البيت المحرَّم، والبلد المكرَّم أحبُ البقاع إلى الرحمن، اختاره الله ﷻ ليكون مقرًا لبناء بيته الحرام ومولدًا لنبيه سيد الأنام محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - فيها أول بيت وضع للناس وأفضل المساجد على الإطلاق.

وهي منبع الوحي ومهد الرسالة وقبلة المسلمين أحياءً وأمواتًا، فيها تغفر الذنوب والآثام، هي مهوى أفئدة المسلمين، تُنفق لبلوغِها الأموال و تقتحم من أجلها الأهوال، يجتمع فيها من كل فجٍ عميق، من جميع أجناس

المسلمين، تُرفرفُ قلـوبهم وأفئـدتهم حبًـا وشـوقًا وتلهفًـا وسرورًا، ممتطـين رواحلهم ومُنْفقين أموالهم وتاركين أوطانهم وأهلـيهم إرضـاءً لله، فتتـآلف قُلوبهم فيتعارفون ويستعين بعـضهم بـبعض، على تحـصيل مـصالحهم وحـلِّ مشاكلهم، فتنعقد بينهم الروابط في مصالحهم الدينية والدنيويـة قـال تعـالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ ﴾الآية[الحج:٢٨].

فهي مقصد حِجهم ومهوى أفئدتهم جعـل الله قـصدها بـالحج والعمـرة مكفرًا لما سلف من الذنوب والآثام، يطوف به المذنب فيُغفر ذنبه، ويلوذ به الخائف فيؤمَّن خوفه..

وقد تحريت في هذه الرسالة الأحاديث النبويـة والآثـار الـصحيحة، وأن تكـون بـإذن الله خاليـةً مـن الموضـوعة والـضعيفة. فـالحق أن التحقيـق والتثبت في الأمـور التاريخيـة وخاصـة فيمـا يتعلـق بعقيـدتنا ومقدسـاتنا وبأسلافنا وبأخص الخصوص سيرة نبينا محمد ﷺ أمر هامٍ جدًا ولهذا فينـبغي التحري الدقيق في قبول الروايات عامة.

نسأل الله أن يوفقنا وجميع المؤمنين لتعظـيم البـلد الأمـين ويجعلنـا مـن حماة الملة والدين، وأن يسلك بنا طريق عباده المؤمنين، الذين لاخوف عليهم ولا هُمْ يحزنون،فهو حسبنا ونعم الوكيل وصـلى الله وسـلم وبـارك على نبينـا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

المؤلف

لمحـة موجـزة

جميـع المـسلمين في أرجـاء المعمـورة على اخـتلاف أجناسـهم ولغـاتهم وألوانهم وبلدانهم في سائر الأقطار والأمصار يتجهـون بقلـوبهم وأبـصارهم وأجسامهم يوميًا نحو البيت العتيق بمكة المكرمة، إلى الكعبة الـشريفة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة:١٤٤].

البيت الحرام أول بيت وضـع للنـاس على الأرض، قـال تعـالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦].

يخبر تعالى بعظمة بيته الحرام وأنه أول البيوت التي وضـعها الله تعـالى في الأرض لعبادته وإقامة ذكره وأنه مبارك وهدى للعالمين، خصه الله في كتابـه الكريم بالتكريم وجعله حرمًا آمنًـا إلي يـوم الديـن، لا يُـسفك فيهـا دم ولا تُلتقط لُقَطتُها للتملك بل للتعريف، قال رسول الله ﷺ يـوم فـتح مكـة: (إن هذا البلد حرَّمه الله، لا يُعضد شوكهُ ولا يُنفَّرصـيده ولا يَلـتقطُ لُقطتـه إلا من عرفها)[1].

وحكم هذا التحريم شامل لمكة ولجميع حرمها المحيط بها ومن مظاهر هذه الحرمة ما أكرم الله به هذه البلدة من أحكام تتميز عن سائر بـلاده مـن فرض الأمن فيها وتحريم قطـع شـجرها والنـهي عـن صـيدها وغيرهـا مـن الأحكام.

ونحن بإذن الله تعالى سنحاول في هذه الرسالة بيان بنـاء البيـت الحـرام

---

(١) أخرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى، برقم(١٥٨٧).

وعظمته وحرمته عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ مـن عهـد إبـراهيم عليه السلام إلى يومنا هذا.

داعيًا الله التوفيق والسداد، وألاّ يؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا. قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦]. في هذه الآيـة إشـارة قويـة إلى كـون البيت مبنياً من قبل إبراهيم عليه السلام وكان معروفاً لديه ولدى الآخرين أن مكانه في هذا الوادي، ولذا قـال حينمـا ولى عـن هـاجر وإسـماعيل ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ فلو لم يكن مكان البيت في هذا الوادي لما تأتَّي له أن يقـول:عنـد بيتك المحرم

ونحن نُرَجِّح ما رجّحه الشيخ وصي الله بن محمـد عبـاس احتمـال كـون البيت مبنياً قبـل إبـراهيم عليه السلام وأنـه كان يُطـاف ويُـزار فمـر عليـه الدهـر وتتابعت عليه السنون فانهدم واندرس مكانـه المُعـين، وكان موضـعه مثـل الرابية من الـروابي في وادي مكـة، ولـم يكـن معروفـاً بذاتـه فأرشـد الله إبراهيم عليه السلام وحدد له مكانه[1].

نعم لم يكن مكانه معروفاً بعينه حـتى بـوأه الله له، وأرشـده إليـه، والله تعالى أعلم.

---

(١)المسجد الحرام تاريخه وأحكامه للعلامة وصي الله بن محمد عباس(ص١٥٨)

خروج إبراهيم عليه السلام بأهله من الشام إلى مكة

لما أمر الله سبحانه وتعالى خليله إبراهيم إمام الحنفاء وأبا الأنبياء عليه السلام ببناء البيت (خرج بإسماعيل وأمه وهي تُرضعه حتى وضعهما عند البيت، وليس بمكة يومئذٍ أحد فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاءً فيه ماء، ثم قفا إبراهيم ((أي- ولى راجعًا إلى الشام)) فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء إلى من تَكِلُنا؟ قال: إلى الله، قالت إذًا لا يُضَيّعُنا- الله - فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجه البيت، ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[إبراهيم:٣٧].

ثم عاد إبراهيم متوجهًا إلى الشام، و جعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها فجعلت تنظر إليه يتلوى[١].

وفي رواية أخرى للبخاري : «كأنه يَنْشَغُ للموت ـ أي يشهق ويعلو صوته وينخفض كالذي ينازع».

فانطلقت كراهة أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا فلم تر أحدًا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ثوبها، ثم سعت سعي

---

(١) يتلوى: أي ـ يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض .

الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليه فنظرت هل ترى أحدًا فلم تر أحدًا ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فذلك سعي الناس بينهما» فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت: «صه» تريد نفسها ـ ثم تسّمعت فسمِعت أيضًا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غوث، فإذا هي بالملَك عند موضع زمزم فبحث بعقبه ـ أو قال بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه ((أي ـ تجعله مثل الحوض)) وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال: لو لم تغرف من زمزم ـ لكانت زمزم عيناً معينًا»، قال: فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملَك لا تخافوا الضيعة، فإن هاهنا بيتًا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وأن الله لا يضيع أهله.

وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك ((أي - هاجر)) حتى مرَّت بهم رفقة من جُرْهم ((أول أهل بيت من جرهم)) مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائرًا عائِفًا فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريًا ((أي ـ رسولاً)) أو جرْيين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا .

قال: وأم إسماعيل عند الماء فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأُنس»، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل بيت منهم، وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم. وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل

امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئـتهم، فقالـت: نحن بشرٍ، وفي ضيق وشـدة، وشـكت إليـه، فقـال إبـراهيم عليه السلام : فـإذا جـاء زوجك اقرئي عليه السلام، وقولي له: ((يغير عتبة بابه)) فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنـا شـيخ كـذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنَّا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاكِ بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليـك الـسلام ويقـول: غيِّر عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلـك فطلقهـا، وتزوج منهم امرأة أخرى. فلبث عنهم إبراهيم ما شـاء الله، ثـم أتـاهم بعـد فلم يجد إسماعيل فدخل على امرأته ((أي زوجةإسماعيل الثانيـة)) فـسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: وكيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخـيرٍ وسـعة وأثنـت على الله عز وجل، فقـال: ماطعـامكم قالـت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء، قال: اللّٰهُمَّ بارك لهم في اللحم والمـاء. قال النبي ﷺ: «ولم يكن لهم يومئذٍ حب، ولو كان لهم لدعا لهم فيه».

فقال إبراهيم عليه السلام: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه الـسلام، ومُريـه يثبـت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالـت: نعـم، أتانـا شيخ حسن الهيئة وأثنـت عليـه، فـسألني عنـك فأخبرتـه، فـسألني كيـف عيشنا؟ فأخبرته أنَّا بخيرٍ قال: أوصاك بـشيء قالـت نعـم، هـو يقـرأ عليـك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قـال: ذاك أبي وأنـتِ العتبـة، أمـرني أن أمسكك، ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يـبري نـبلاً له تحت دوحة ((الدوحة- الشجرة العظيمة)) قريبًا من زمزم، فلمـا رآه قـام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد. ثم قال: يا إسـماعيل إن الله أمرني بأمر قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينـني؟ قـال: وأعينـك، قـال: فان الله أمرني أن ابني هاهنا بيتًا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها .

قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجـارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر ((وهو المعـروف باسـم مقام إبراهيم، وهو من الآيات البينات)) فوضـعه له فقـام عليـه وهـو يبـني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْـتَ الـسَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهمـا يقـولان: ﴿رَبَّنَـا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧][(١)].

فانظر كيف كان حالهما من الخوف والرجاء حتى إنهما مع هـذا العمـل- دعوا الله أن يتقبل منهما عملهما، حتى يجعل فيه النفع العميم فأسـسه عليه السلام وبناه على طاعة الله وتقواه. قال الشيخ وصي الله. والذي يتحقق لنـا في ضـوء الروايات الصحيحة أن إبراهيم عليه السلام حينما بـنى البيـت بنـاه مربـع الـشكل شاملاً للحجر، وكان طوله أكثر من عَرضـه وكان بابـه ملزقـاً بـالأرض غـير مرتفع [(٢)].

فكان بناء إبراهيم عليه السلام مستحكمًا جدًا، أسسه بصخور عظيمة ملتحمًـا بعضها ببعض.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى برقم(٣٣٦٤).

(٢) المسجد الحرام تاريخه وأحكامه للشيخ وصي الله بن محمد عباس(ص١٩٨).

الحجر الأسود

نزل جبريل عليه السلام بالحجر الأسود، وكان حين نُزوله من الجنة - أبيض اللون - فسودته خطايا بني آدم، فعن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ (نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن فسودته خطايا بني آدم)[١].

فوضعه إبراهيم في الركن الشرقي من الكعبة المشرفة، وقد قَبَّلَهُ النبي ﷺ فيستحب للطائف بالبيت تقبيله، أو استلامه بيده أو بشيء، فان عجز أشار إليه بيده وكبر فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في الحجر: (والله ليبعثنَّه الله يوم القيامة، له عينان يُبْصرُ بهما،ولسانٌ ينطق به، يشْهد على من استلمه بحق) وفي رواية: (يشهدُ لمن استلمه بحق)[٢].

---

(١) سنن الترمذي(٣: ٢٢٦) قال الشيخ وصي بن محمد عباس الله في كتابه المسجد الحرام تاريخه وأحكامه (ص٣٢١) هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي(ج٤ص٣٤)،قال شيخنا في الصحيح المسند(٥٩٥)صحيح.

الله يأمر إبراهيم أن يؤذنَ في الناس بالحج

لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء الكعبة المكرمة، أمرهُ الله أن يُنادي في الناس بالحج قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج:٢٧].

فتقاصر إبراهيم صوته عن البلاغ، فقال الله سبحانه وتعالى: عليك النّداء وعلينا البلاغ، فقام إبراهيم عليه السلام على المقام فقال أيها الناس إن ربكم قد بنى بيتاً فحجُّوه وأجيبوا الله عز وجل، فأسمع كل شيء حتى من في الأصلاب، فأجاب من أجاب: ((بلبيّك اللّهُمَّ لبيك)) فكل من حج اليوم فهو ممن أجاب إبراهيم على قدرما لَبَّى[1].

---

(١) رواه ابن جرير في التفسير(١٧: ١٠٦). وقد صحح إسناده ابن حجر في فتح الباري (٦:٤٠٦).

قريش تهدم الكعبة وتغير البناء

قد وردت أخبار مرفوعة وآثار صحيحة مشهورة في بناء قريش للكعبة وبتفاصيل دقيقة، وحضره النبي ﷺ قبل بعثته وكان ﷺ آنذاك ابن خمس وثلاثين سنة، فعن جابر رضي الله عنه قال: لما بُنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة فقال العباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك، فخرّ إلى الأرض وطَمحَت عيناه إلى السما، فقال إرني إزاري فشدِّه عليه[١].

عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن أبي الطفيل قال: أقبَلت سفينة من أرض الروم حتى إذا كانوا قريباً من جُدة انكسرت السفينة، فأقبلت قريش ليأخذوا خشبها، فوجدوا رومياً عندها فأخذواالخشب ـ أعطاهم إياها ـ وكانت السفينة تريد الحبشة وكان الرومي الذي في السفينة نجاراً فقدموا بالخشب، وقدموا بالرومي فقالت قريش نبني بهذا الخشب بيت ربنا[٢].

فلما أرادوا هدمه، إذا هُم بحيَّة على سور البيت، سوداء الظهر بيضاء البطن، فجعلت كلما دنا أحد من البيت ليهدمه أو يأخذ من حجارته، سعت إليه فاتحة فاها فاجتمعت قريش عند الحرم، فعجوا إلى الله وقالوا : ربنا لم نُرَع ((يعني - لا فزع ولا خوف -)) أردنا تشريف بيتك وترتيبه، فإن كنت ترضى بذلك وإلا فما بدا لك فافعل فسمعوا خُواراً - كصوت البقرة - في السماء فإذا بطائر أعظم من النسر أسود الظهر وأبيض البطن والرجلين فغرز مخالبه في قفا الحية، ثم انطلق بها يجرها نحو أجياد فهدمتها قريش، وجعلوا يبنونها بحجارة الوادي تَحملها قريش على رقابها، فرفعوها في

---

(١) أخرجه الإمام البخاري برقم(١٥٨٢)، و الإمام مسلم(٢٦٨/١).

(٢) قيل:(أن سبب بنائهم تشقق البيت بالسيول والخوف من انهدامها بسببها).

السماء عشرين ذراعًا فبينما النبي ﷺ يحمل حجارةً من أجياد وعليه نُمَرة إذ ضاقت عليه النمرة فذهب يضع النمرة على عاتقه، فبدت عورته من صغر النمرة، فنودي يا محمد، خمّر عورتك فلم ير عريانًا بعد ذلك.

وكان بين بناء الكعبة وبين ما أنزله الله عليه من الوحي خمس سنين[١].

وقصرت بقريش النفقة، فأخرجوا من الجهة الشمالية نحوًا من ستة أذرع، وهي التي تسمى بالحجر - ويُسمى بالحطيم - أيضًا، لأن البيت رُفع وترك هو محطومًا، فأداروا عليه جدارًا قصيرًا ليطوف الناس من ورائه، ورفعوا بابها الشرقي عن مستوى الأرض لئلا يدخلها إلا من أرادوا ويمنعوا من أرادوا، وسقفوها ولم تكن من قبل مسقوفة.

---

(١) مصنف عبدالرزاق (٥:١٠٢) واللفظ له، مسند أحمد (٥:٤٥٥).

بناء عبدا لله بن الزبير للكعبة وإعادة بنائها على قواعد إبراهيم

لم تزل الكعبة على ما بنتها قريش حتى هدمها عبد الله بن الزبير بن العوام ابن حوري رسول الله ﷺ، أول مولود للمهاجرين بالمدينة ﷺ وكان ذلك عام أربع وستين للهجرة، وذلك لأن جدارها مال من رمي المنجنيق، فوهنت وضعفت واحترقت، وكان احتراقها يوم السبت لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الأول، سنة أربع وستين، فهدمها حتى وصل إلى أساس إبراهيم عليه السلام وكان الناس يطوفون ويصلون من وراء ذلك، وجعل الحجر الأسود في تابوت في سرق من حرير، وادخر ما كان في الكعبة من حلي وثياب وطيب، عند الخزان حتى أعاد ابن الزبير ﷺ بناءها على ما كان رسول الله ﷺ يريد أن يبنيها عليه من الشكل، وذلك ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسّنن، من طرق عن عائشة أم المؤمنين قالت: سألت النبي ﷺ عن الجدار، أمن البيت هو قال: «نعم» قلت: فما لهم لم يدخلوه من البيت؟ قال: «ألم تري قومكِ قصرت بهم النفقة» قلت: فما شأن بابه مرتفعًا؟ قال: (فعل ذلك قومكِ ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا، ولولا أن قومك حديثُ عهدٍ بجاهليةٍ، فأخاف أن تُنكر قلوبهم أن أُدخل الجدار في البيت وأن ألصق بابه بالأرض)[1].

وعن الأسود قال: قال لي ابن الزبير ﷺ : كانت عائشة تسر إليك كثيرًا، فما حدثتك في الكعبة؟ فقلت: قالت لي: قال النبي ﷺ: (يا عائشة لولا قومك حديث عهدٍ بجاهليةٍ ـ قال ابن الزبير ﷺ : بكفر لنقضت الكعبة فجعلت

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٥٨٤) ومسلم برقم(١٣٣٣).

لها بابين: بابًا يدخل الناس منه، وبابًا يخرجون) ففعله ابن الزبير رضي الله عنه[١].

وعن يزيد بن مروان، عن عروة، عن عائشة : أن النبي ﷺ قال لها: (يا عائشة، لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدمت، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين، بابًا شرقيًا وبابًا غربيًا فبلغت به أساس إبراهيم).

فذلك الذي حمل ابن الزبير رضي الله عنه على هدمه. قال يزيد: وشهدت ابن الزبير رضي الله عنه حين هدمه وبناه، وأدخل فيه من الحجر، وقد رأيت أساس إبراهيم حجارة كأسنمة الإبل. قال جرير: فقلت له: أين موضعه؟ قال: أُريكهُ الآن فدخلت معه الحجر فأشار إلى مكان فقال: هاهنا.

قال جرير فحزرت من الحجر ستة أذرع أونحوها[٢].

فبناها ابن الزبير رضي الله عنه على ذلك كما أخبرته خالته عائشة أم المؤمنين ، عن النبي ﷺ، فأدخل فيها ما أخرجته قريش منها، وجعل لها بابين ملصقين بالأرض أحدهما في الجهة الشرقية، والآخر في الجهة الغربية وزاد في ارتفاعها فجزاه الله خيرًا.

وبقى بيت الله على ما بنى عليه ابن الزبير من سنة خمس وستين إلى سنة٧٤ من الهجرة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٦) و مسلم برقم(١٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم(١٥٨٦) ومسلم برقم(١٣٣٣).

هدم الحجاج للكعبة وإعادة بنائها كما بنتها قريش

لما غلب الحجّاج بن يوسف، عبـدالله بـن الـزبير سـنة ثـلاث وسـبعين للهجرة، هدم الحائط الشمالي للكعبة المشرفة وأخرج الحجر كمـا كان أولاً، وأدخل الحجارة التي هدمها في جوف الكعبة فرصها فيه فارتفع الباب وسـد الغربي وتلك آثاره إلى الآن، وذلك بأمر عبد الملك بن مروان بن عبد الملـك في ذلك، ولم يكن بلغه الحديث، فلما بلغه الحديث قـال: وددنـا أن تركنـاه وما تولَّى من ذلك.

وقد هم أمير المؤمنين هارون الرشيد أو أبيه المهـدي أن يعيـدها على مـا بناها ابن الزبير، واستشار الإمام مالك بن أنس عن هدم الكعبـة وردهـا إلى ما فعله ابن الزبير فقال: يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها فترك ذلك الرشيد[١].

(١) تفسير ابن كثير(١: ١٨٢ـ١٨٣)، و إسناده صحيح .

بناء السلطان مراد خان العثماني

ففي عهد السلطان مراد خان العثماني تهدمت الكعبة المشرفة بسبب الأمطار الغزيرة. لما كان يوم الأربعاء التاسع عشر من شعبان سنة تسع وثلاثين وألف نزل بمكة المكرمة مطر عظيم كان ابتداؤه في الساعة الثانية صباحاً واشتد نزوله بين الصلاتين الظهر والعصر واستمر كذلك إلى أثناء ليلة الخميس ٢٠ من شعبان، وجرى منه في آخر يوم الأربعاء سيل عظيم ودخل المسجد الحرام وملأ أغلبه ودخل الكعبة الشريفة من بابها ووصل إلى نصف جدرانها ودخل بيوت أهل مكة المكرمة وأخرج الأمتعة ـ وذهب بها إلى أسفل مكة ومات بسبب ذلك داخل المسجد الحرام وخارجه خلق كثير من كبير وصغير وجليل وحقير.

قال العلامة أحمد بن علان: وخرصتُ من مات فيه نحو ألف إنسان وبات تلك الليلة السيل بالمسجد الحرام إلى الصباح ثم لما كان يوم الخميس عشرون من شعبان سنة ١٠٣٩هـ سقط الجدار الشمالي من الكعبة المشرفة وبعض الجدارين الشرقي والغربي وسقطت درجة السطح، وكان ذلك بعد صلاة عصر ذلك اليوم فأمر أمير مكة بإعادة بناء الكعبة عام – الف وأربعين هـ – على ما كانت عليه[١].

وهذه العمارة هي العمارة الباقية إلى يومنا هذا، ولا تزال والله أعلم، هكذا إلى آخر الزمان إلى أن يُخرّبَها ذو السويقتين من الحبشة.

---

(١)المسجد الحرام تاريخه وأحكامه لشيخ وصي الله بن محمد عباس(ص٢٤٤) .

ترميم الكعبة المشرفة في العهد السعودي

ففي صباح يوم الجمعة الموافق ١٨ رجب عام ١٣٧٧هـ كانت أعمال الترميم بالبيت الحرام، في احتفال ترأَّسه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز ولى العهد آنذاك، فشرع في هدم شيء من سقف الكعبة المشرفة إيذانًا - رحمه الله - ببدء وإصلاح بناء الكعبة وترميم التصدع بها، فاستمر العمل في ذلك اليوم والأيام التي تلته حتى تم تجديد سقف الكعبة المشرفة وترميم جدرانها على خير ما يرجوه المسلمون لهذا البيت المعظم قبلتهم في صلواتهم[١].

وبعد وفاة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - واصل أبناؤه القيام بأعمال البناء والتوسعة والعناية سواء ما كان في مكة المكرمة أو في طيبة الطيبة.

---

(١) الحرمان الشريفان، التوسعة والخدمات خلال مائة عام(٨٥).

كسوة الكعبة

لم نجد رواية صحيحة متصلة يوثق بها في أول من كسا البيت الحرام قبل الإسلام، قيل: أن أول من كساها تُبع الحميري، روى الفاكهي بإسناد صحيح عن وهب بن منبه أنه قال: زعموا أن النبي ﷺ نهى عن سب أسعد ((وهو تُبع الحميري)) وكان أول من كسا البيت الوصائل[1].

وكانت على الكعبة كسى كثيرة من كسوة أهل الجاهلية من الأنطاع والأكسية والكرار والأنماط .

فكانت ركاماً بعضها فوق بعض، فلما كُسِتَ في الإسلام من بيت المال كان يُخفَّف عنها الشيء بعض الشيء، وكانت تكسى في خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهما القباطي، يُؤْتى به من مصر غير أن عثمان رضي الله عنه كساها سنةً بُردًا يمانية.

فلما كان معاوية كساها الديباج مع القباطي، وسار على ذلك الخلفاء والملوك والأمراء، وقيل: أن أول من داوم على كسوتها بالديباج الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك، فكانت تُكسى الديباج في كل سنة..

وفي عهدنا العهد السعودي أمر عبد العزيز آل سعود -يرحمه الله - بإنشاء مصنع خاص بكسوة الكعبة عام (١٣٤٦هـ).

وتبدل كسوتها كل عام في التاسع من ذي الحجة، بكسوة جديدة، مطرزة من الذهب الخالص.

---

(١)فتح الباري(٣: ٤٥٨) .الوصائل جمع وصيلة وهي برود اليمن(لسان العرب)

حرمة الحرم

مكة حرام بحرَّمة الله، حرَّمها يوم خلق السموات والأرض، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت:٦٧].

ولهذا كانوا في الجاهلية على شدة شركهم، يحترمونه أشد الاحترام، حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه في الحرم، فلا يهيجه، فلما جاء الإسلام زاده حرمةً وتعظيمًا وتشريفًا وتكريمًا، ومن جملة تحريمها: حرمة اصطياد صيدها، وتنفيره عن أوكاره، وحرمة قطع شجرها وقلع حشيشها، ولا يعضد شوكه، ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها، (فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة).

كما ثبتت الأحاديث والآثار في ذلك عن جماعة من الصحابة مرفوعًا وموقوفًا، فعن أبي شريح العدوي أنه قال لعمرو بن سعدٍ وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلَّم به، أنه حمد الله ﷻ وأثنى عليه، ثم قال: (إن مكة حرَّمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ﷺ ولم يأذن لكم، وإنما أذن له ساعة من نهار[1]، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليُبلِّغ الشاهدُ الغائبَ).

فقيل لأبي شريح: ما قال لك عمرُو؟ قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا

---

(١) الساعة التي أحلت فيها لرسول الله ﷺ ما بين طلوع الشمس إلى صلاة العصر

شريح، إن الحرم لا يعيذ عاصيًا ولا فارًا بدم ولا فارًا بخربةٍ[١].

وعن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إن الله ﷻ حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي، ولا لأحد بعدي أحلت لي ساعة من نهار، لا يختلي خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف) فقال ابن عباس ﷺ: إلا الإذخر لصاغتنا وقبورنا . فقال: «إلا الإذخر»[٢].

وقد بين وأظهر الله تحريمها على لسان إبراهيم الخليل ﷺ، كما صح عن أنس بن مالك ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: (اللَّهُمَّ إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها)[٣].

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج:٢٥].

في هذه الآية الكريمة وجوب احترام الحرم، وشدة تعظيمه، والتحذير من إرادة المعاصي، وفعلها حسيًا ومعنويًا، حسيًا: هدمها وتخريبها وتقذيرها، ومعنويا: منع الذاكرين لاسم الله فيها، فمن حاول أن يجلب الوثنية إلى هذا البيت ويقيمها حوله أزاله الله من الوجود، وأذاقه العذاب الأليم.

---

(١) أخرجه البخاري برقم(١٠٤) و مسلم برقم(١٣٥٤).

(٢) أخرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى، برقم(١٨٣٣) ومسلم برقم(١٣٥٣).

الإذخر – نبات معروف عند أهل مكة طيب الريح، وأهل مكة يسقفون به البيوت ويسدون به الخلل بين اللبنات في القبور ويستعملونه في الوقود.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٣٦٧) و الإمام مسلم برقم(١٣٦١).

قصة عمرو بن لحي الخزاعي

عمرو بن لحي الخزاعي، الذي رآه النبي ﷺ يجر قصبه في النار جزاءً له على ما أحدث من تغيير لدين إبراهيم عليه السلام وجلب الأصنام إلى مكة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال: (رأيتُ عمرو بن لُحي الخزاعي يجر قصْبه في النار وكان أول من سيّب السوائب)[١].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ رآه يجر أمعاءه في النار)[٢].

فمن أراد بهذا البيت وقاصديه والمتعبدين فيه سوءًا، أذابه الله بالعذاب، كما يذوب الملح في الماء فمجرد الإرادة للظلم والإلحاد في الحرم موجب للعذاب الأليم،عن ابن عباس رضي الله عنه، أن رسول ﷺ قال: (أبغض الناس إلىّ ثلاثةٌ) وذكر منهم: «مُلحدٌ في حرم الله»[٣].

ويقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (ما من رجل يهم بسيئةٍ فيه إلا كتبت، ولو أن رجلاً بعدن أبين همَّ أن يقتل رجلاً بهذا البيت لأذاقه الله من العذاب الأليم)[٤].

وأيم الله ما سكنه أحدٌقط، فظلم فيه وألحد فيه إلاّ قطع الله عز وجل دابرهم واستأصل شأفتهم وبدّل أرضهم غيرهم ، فليتق الله رَّبه إنسانٌ أكرمه الله عز وجل بسكنى هذا البلد الأمين فليتأدب بأدبه في أعماله وسلوكه،

---

(١) أخرجه البخاري برقم:(٣٥٢١)، ومسلم برقم(٢٨٥٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤٤٦/١) وحسنه الألباني في الصحيحة برقم(١٦٧٧).

(٣) أخرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى برقم: (٦٨٨٢).

(٤) أخرجه ابن جرير بإسناد صحيح (١٠٤/١٧)انظر فتح الباري (ج١٢ص٢٦٢)

ويحاسب نفسه وعمله فإن وجد خيرًا فليحمد الله، وإن وجد غـير ذلـك فليتب إلى العزيز الغفار، إنه يحب التوابين ويحب المتطهرين.

أبرهة الأشرم وعزمه على هدم البيت الحرام

قصة أصحاب الفيل من القصص والوقائع التي لا شك في ثبوتها، فقد ذكره الله تعالى في كتابه الكريم في سورة خاصة بها فقال : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [سورة الفيل].

هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فيما صَرف عنهم أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرِها من الوجود، فأبادهم الله وأرغم أنافهم وخيّب سعيهم، وأضلّ عملَهم، وردهم بشر خيبة وكانوا قوماً نصارى .

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الحادثة في خطبته المشهورة صبيحة فتح مكة بقوله : (إن الله حبس عن مكة الفيل وسلَّط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لن تحل لأحد كان قبلي، وإنها أحلت لي ساعة من نهار وإنها لن تحل لأحد من بعدي..)[١].

قال الشيخ وصي الله بن محمد عباس حفظه الله: (وأما سبب هجوم أصحاب الفيل أبرهة وجيشه على الكعبة وكذلك التفاصيل الأخرى للحادثة فلم أجدها بأسانيد صحيحة كما أريد بعد بحث شديد في الموضوع إلا بعضًا منها)[٢].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى برقم(٢٤٣٤).

(٢) المسجد الحرام تاريخه وأحكامه للشيخ وصي الله بن محمد عباس (ص٢١٩).

قال شيخنا عبد الهادي بن مهـجي العمـيري - حفظـه الله - الذي ذكـره الشيخ بأسانيد متصلة صحيحة هو ما أخرجه الحاكم والبيهقي وأبو نعـيم، عن ابن عباس ﵄ قـال : أقبـل أصـحاب الفيـل حـتى إذا دنـوا مـن مكـة استقبلهم عبد المطلب فقال لملكهم: ما جاء بك إلينـا ؟ ألا بعثـت فأتينـاك بكل شيء أردت؟ فقال: أخبرت بهذا البيت الذي لا يدخله أحـد إلا أمـن فجئت أخيـف أهلـه، فقـالوا : إذاً نأتيـك بكـل شيء فـارجع فـأبى إلا أن يدخله وانطلق يسير نحوه وتخلف عبـد المطلـب فقـام على جبـل فقـال: لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله .

فأقبلت سحابة من البحر، حتى أظلتهم طـيرًا أبابيـل الـتي قـال الله ﷻ ترميهم بحجارة من سجيل قال :فجعل الفيل يعج عجًا، فجعلهـم كعـصف مأكول[1] .

وكان حصول هذا الحادث ونزول العـذاب على أصـحاب الفيـل في وادي مُحَسّرْ وهو مكان بين مزدلفة ومنى.

والمعنى من القصة أن الله سـبحانه وتعـالى ردَّهـم وأهلكهـم فأصـبحوا مُلْقين على الأرض كعـصف مـأكول، كـزرع أكلتـه الدواب فراثتـه فيـبس وتفرقت أجزاؤه، وفي هذا أعظم عبرةٍ، وأكبر زاجـرٍ لمـن يريـد هـذا البيـت بسوء، أن يهلكه ويجعله عبرة للمعتبرين.

ولذلك ثبت في الحديث الصحيح عن عائشة أن رسـول الله ﷺ قـال: «يغزو جيشٌ الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسَفُ بأولهم وآخـرهم»، قالت: قُلت: يا رسول الله، كيف يُخسَفُ بـأولهم وآخـرهم وفـيهم أسـواقهم

---

(١) ضعيف الآثار الشهيرة في التاريخ والسيرة لشيخنا عبدالهادي العميري(٣٤).

ومنْ ليس منهم؟ قال:(يُخسف بأولهمْ وآخرهم، ثم يُبعثون على نياتهم)[١].

(١) أخرجه البخاري برقم(٢١١٨) ومسلم برقم(٢٢١٠).

خراب الكعبة في آخر الزمان

إن لقرب القيامة علامات كثيرة وأشراط جسيمة كما أخبر الصادق المصدوق نبينا محمد ﷺ، ومن أكبر أشراطها تخريب الكعبة المشرفة بحيث لا يُعمر بعده أبدًا وأما قبل قرب القيامة فلا يمكن على هدمها وتخريبها من أراد هدمها بسوء.فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرب الكعبة ذو السويقتين[١] من الحبشة)[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كأني به أسود أفحج يقلعُها حجرًا حجرًا»[٣].

وهذا إن شاء الله ـ لا يكون إلاّ في آخر الزمان، من أواخر الفتن والأشراط التي تحصل قرب قيام الساعة، وبعد خروج يأجوج ومأجوج حيث لا يبقى في الأرض أحد يقول: الله الله، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليحجنّ البيت وليعتمرنّ بعد خروج يأجوج ومأجوج»[٤].

ولا يكون هذا إن شاء الله إلا في آخر الزمان من أواخر الفتن والأشراط التي تحصل قرب قيام القيامة، فتملأ الدنيا جورًا وفسادًا فيبعث الله المهدي عليه السلام فيملأها عدلاً كما ملئت جورًا ويقيم الملة الحنيفية ويخرج الدجال، ثم ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله.

---

(١) (أي له ساقان دقيقان).

(٢) أخرجه البخاري برقم(١٥٩١)ومسلم برقم(١٥٩٦).

(٣) أخرجه البخاري رحمه الله تعالى، برقم(١٥٩٥).

(٤) أخرجه البخاري رحمه الله تعالى برقم(١٥٩٣).

ثم يخرج يِـاجوج ومـاجوج فـيهلكهم الله وتـبقى الدنيـا عامـرة بـالدين والإمان وبذكر الله ﷻ ويُحجُّ البيت ويُعتَمَـر ثـم تفـسد الدنيـا مـرة أخـرى ويتوفى الله بعد ذلك كل من يكون في قلبـه مثقـال حبـة مـن خـردل مـن الإمان، ويبقى على وجه الأرض إلا شرار الناس، لا خير فيهم فتـأتي الحبـشة يغزون البيت ويهدمونه حجرًا حجرًا وتحصل بعض الأشراط الأخرى منهـا طلوع الشمس من مغربها وخروج النـار في المـشرق والمغـرب وأخرهـا نـار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم [١].

(١) أخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى(٤/٢٢٢٦).

فضائل المسجد الحرم

ورد في فضائله نصوص كثيرة وخصائص عظيمة منها :

١) جعله حراما آمنا إلى يوم الدين:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت:٦٧].

عن ابن عباس ﷺ قال: قال النبي ﷺ يوم فتح مكة: (إن هذا بلدٌ حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وأنه لم يحل القتال فيه لأَحدٍ قبلي، ولم يحل لي إلا ساعةً من نهارٍ، فهو حرامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة)[١].

٢) كونه أحب البلاد إلى الله وأطيبها:

عن عبدالله بن عدي ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفًا على الحزورة ((الحزورة: هي الرابية الصغيرة، وكانت سوق مكة، وقد دخلت في المسجد الحرام أثناء التوسعة السعودية الأولى)) فقال: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجتُ»[٢].

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لمكة: «ما أطيبك من بلد، وأحبك إليّ، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما سكنت غيرك»[٣].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى برقم(١٨٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي(ج١٠ص ٤٢٦) قال شيخنا في الصحيح المسند صحيح.

(٣) صححه الشيخ الألباني في المشكاة (ج٢/ص٨٣٢) وفي صحيح سنن الترمذي برقم(٣٢٦٩) وفي تمام المنة (ص ٦٠).

٣) أنه أول بيت وضع للناس على وجه الأرض:

قال تعـالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْـتٍ وُضِـعَ لِلنَّـاسِ لَـلَّذِي بِبَكَّـةَ مُبَـارَكًا وَهُـدًى لِلْعَالَمِينَ﴾[آل عمران:٩٦].

عن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: سمعت أبا ذر رضي الله عنه قال: قلت: يـا رسـول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام» قـال: قلـت ثـم أي؟ قال: (المسجد الأقصى) قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثـم أينما أدركتك الصلاة بعد فصلّه، فان الفضل فيه»[(١)].

٤) قبلة المسلمين أحياءً وأمواتا:

قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي الـسَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّـكَ قِبْلَـةً تَرْضَـاهَا فَـوَلِّ وَجْهَـكَ شَـطْرَ الْمَـسْجِدِ الْحَـرَامِ وَحَيْـثُ مَـا كُنْـتُمْ فَوَلُّـوا وُجُـوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[البقرة:١٤٤]، وقال: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَـكَ شَـطْرَ الْمَـسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٩].

٥) مضاعفة الحسنات عامة في الحرم:

مرض ابن عباس رضي الله عنه مرضًا شديدًا فدعا ولده فجمعهـم فقـال : سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حجّ من مكة ماشيًا حتى يرجع إلى مكة، كتـب الله له بكل خطوه سبعمائة حسنة مثل حـسنات الحـرم، قيـل : ومـا حـسنات الحـرم ؟ قـال بكـل حـسنة مائـة ألـف حـسنة ». قـال الحـاكم صـحيح الإسناد[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري برقم (٣٣٦٦).

(٢) كشف الأستار(٢:٢٥) مستدرك الحاكم(١:٤٦٠) والحديث حسن لغيره.

٦) مضاعفة أجر الصلاة فيه:

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «صلاةٌ في مسجدي هذا خير من ألف صلاةٍ فيما سواه إلا المسجد الحرام»[١].

وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه»[٢].

٧) بركة الرزق فيه:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص:٥٧] وفي الحديث الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «إن إبراهيم حرَّم مكة، ودعا لأهلها، وإني حرّمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومُدّها بمثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة)[٣].

٨) فيه خير ماء وجد على وجه الأرض:

روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام من الطعم، وشفاء من السقم»[٤]. أورده في مجمع الزوائد وقال: رجاله ثقات.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري برقم:(١١٩٠)، ومسلم(٢/١٠١٢).

(٢) أخرجه ابن ماجة(ج١ص٤٥٠)،قال شيخنا في الصحيح المسند(٢٢٨) صحيح

(٣) أخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى برقم:(٩٩١).

(٤) معجم الطبراني الكبير(١١: ٩٨: رقم: ١١٦٧) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة: (١٤٢٧).

٩) أنه لا يشرع الطواف بغيره على وجه الأرض:

فلا يُشرعُ أن يطاف بالقبور والأضرحة ولا بالأشجار والأحجار، فمن اعتقد أنه يُشرعُ الطواف بغير البيت فهو كافرٌ؛ لأنه اعتقد ما لم يشرعه الله ولا رسوله ﷺ[(١)].

١٠) أن الدجال لا يدخل مكة وكذا الطاعون:

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، وليس من نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها»[(٢)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة، على كل نقب منها ملك لا يدخلها الدجال ولا الطاعون»[(٣)].

وهذا من المعجزات النبوية، فلم يقع الطاعون في هذه الأعصار الطويلة في مكة والمدينة، كما جزم به ابن قتيبة الدينوري والنووي وغيرهما [(٤)].

١١) النهي عن استقبال القبلة ببول أو غائط:

عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة، ولا يوليها ظهره شرقوا أو غربوا)[(٥)].

---

(١) الخطب المنبرية للشيخ الفوزان حفظهُ الله تعالى :(ج٢/ص٤٢١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في الفتن برقم:(٢٩٤٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده(٢: ٤٨٣) وإسناده صحيح.

(٤) المسجد الحرام تاريخه وأحكامه لشيخ وصي الله بن محمد عباس(ص٣٧).

(٥) أخرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى برقم(١٤٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيب بيمينه).

١٢) لايتفل تجاه القبلة:

عن حذيفة بن اليمان ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة تفله بين عينيه)[١].

اللّٰهُمَّ ثبِّتْنا على الإيمان والعمل الصالح، وأحْينا حياةً طيبةً، وألحقنا بالصالحين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبِّينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، وإلى هنا انتهى ما أردنا كتابته في هذا.

نسال الله أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه، ومقربًا إليه، ونافعًا لعباده، وموافقًا لكتابه وسنة نبيه، وأن يتولانا في الدنيا والآخرة ويهدينا لما اخْتُلِفَ فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم(٣٨٢٤)، قال الشيخ الألباني في الصحيحة برقم(٢٢٢) إسناده صحيح وقد صححه في صحيح الترغيب برقم(٢٨٤).

الفهرس

تقديـم فضيلة الشيخ عبد الهادي بن مهجي العميري الهذلي ٣
المقدمة ٤
لمحة موجـزة ٦
خـروج إبراهيـم عليه السلام بأهله من الشام ٨
إلى مكـة ٨
الحجر الأسود ١٢
الله يأمر إبراهيـم أن يُؤَذِّنَ فِي الناس بالحج ١٣
قريش تهدم الكعبة وتُغير البناء ١٤
بناء عبدا لله بن الزبير للكعبة وإعادة بنائها على قواعد إبراهيـم ١٦
هَدْمُ الحَجّاج للكعبة وإعادة بنائها كما بنتها قريش ١٨
بناء السلطان مراد خان العثماني ١٩
ترميـم الكعبة المشرفة في العهد السعودي ٢٠
كسوة الكعبة ٢١
حرمة الحرم ٢٢
قصة عمرو بن لحي الخزاعي ٢٤
أبرهة الأشرم وعزمه على هدم البيت الحرام ٢٦
خراب الكعبة في آخر الزمان ٢٩
فضائل المسجد الحرم ٣١
١) جعله حرامًا آمنًا إلى يوم الدين: ٣١
٢) كونه أحب البلاد إلى الله وأطيبها: ٣١
٣) أنه أول بيتٍ وضع للناس على وجه الأرض: ٣٢

٤) قبلة المسلمين أحياءً وأمواتًا: ٣٢
٥) مضاعفة الحسنات عامة في الحرم: ٣٢
٦) مضاعفة أجر الصلاة فيه: ٣٣
٧) بركة الرزق فيه: ٣٣
٨) فيه خير ماء وجد على وجه الأرض: ٣٣
٩) أنه لا يشرع الطواف بغيره على وجه الأرض: ٣٤
١٠) أن الدجال لا يدخل مكة وكذا الطاعون: ٣٤
١١) النهي عن استقبال القبلة ببول أو غائط: ٣٤
الفهرس ٣٦